الطريق إلى المدينة

(تعب الجهلاء يعييهم لأنه لا يعلم كيف يذهب الى المدينة)

(الجامعة ١٠: ١٥)

Henry Allen "Harry Ironside" (October 14, 1876 – January 15, 1951) was a Canadian-American Bible teacher, preacher, theologian, pastor, and author who pastored Moody Church in Chicago from 1929 to 1948.

كان الدكتور هنري ألين المعروف "هاري ايرونسايد "، ولد في تورنتو اونتاريو بكندا
(14 أكتوبر 1876 - 15 يناير 1951)
مدرسًا للكتاب المقدس أمريكيًا كنديًا وواعظًا وعالم لاهوت وراعيًا ومؤلفًا لكنيسة مودي التذكارية في شيكاغو من عام 1929 إلى عام 1948.

تعريف للمعرب:

من أشهر الواعظين ، وهو راعي كنيسة مودى التذكارية بمدينة شيكاغو ، و من اقوى باحثي الكتاب حتى لقد اختصته مجلة مدارس الأحد بالولايات المتحدة بتفسير الدروس الأسبوعية.

يعتبر سفر الجامعة من بعض الوجوه، اشد اسفار الكتاب ميلاً إلى الحزن والأسى ، لأنه يصور لنا بحث الإنسان الطبيعي وراء أكبر حظ من الخير تحت الشمس ، فلا يؤدي به المطاف في النهاية إلا إلى الخذلان المرير وصيحة القلب الكسير : « باطل الأباطيل الكل باطل» « الكل باطل وقبض الريح » (سفر الجامعة 1: 2 و14).

والكتاب المبارك يضع أمام عين الإيمان مدينة يصبو إليها قلب كل مؤمن ، مدينة اليها تحولت أعين قديسي الله في كل العصور والأجيال ، نظروا الى المدينة التي صانعها و بارها الله (عب ١١:١٠) ولقد اعتز بها ابراهيم أبو المؤمنين حتى خرج وهو لا يعلم الى أين يمضي ، وحول وجهه عن كل أمجاد العالم معطيا قفاه لكل ما فيه من

زخرف وغرور لكي ينال مكانا في تلك المدينة وفي العهد الجديد يخبرنا سيدنا المبارك :« في بيت أبى منازل كثيرة » (يو ١٤:٢)، ثم يردف قائلا : « أنا ذاهب لأعد لكم مكانا. « وفي آخر اسفار الكتاب - سفر الرؤيا العجيب وصف مسهب لتلك المدينة بصورة ليس في مقدور عقولنا الضعيفة ادراك عظمتها مدينة سوقها من ذهب ، وأساساتها من حجارة كريمة ، وأبوابها لآلئ ، وأسوارها من ماس ، لكي نقدر ولو بصورة بسيطة ما أعده الله للذين يحبونه . فما اشد الخطر على من يضل الطريق إلى هذه المدينة ! نحن نعيش في هذا العالم خمسين أو ستين أو سبعين أو ثمانين سنة ، واذا ما وجدنا أنفسنا بعدما نقضي العمر ذاهبين الى ابدية الظلام فما اقساها مأساة للحياة ! وفي هذا السفر يستخدم سليمان الحكيم استعارة بليغة فيتخيل مسافرا في طريقه إلى المدينة ، وربما يريد أن يذهب إلى المدينة العظيمة أورشليم عاصمة فلسطين أو أية مدينة أخرى عزم أن يذهب اليها ولكنه بدأ رحلته محاولا أن يجد السبيل بدون علامات ترشده ولا معلومات تهديه. فيجرب الطريق الأول والثاني ، وفي كل مرة يخذل . فاذا ما أعيته الحيل واضناه التعب ينطرح واليأس يملأ قلبه اذ يرخي الليل ستائره وعندئذ يناجي نفسه : لقد ذهبت محاولاتي عبثا في طرق طويلة ولا أستطيع أن أجد السبيل : « تعب الجهلاء يعييهم لأنه لا يعلم كيف يذهب الى المدينة.

واذا فكرنا أن هذه المدينة هي السماء ، أو أورشليم الجديدة المجيدة ، فما أوقع كلمات سليمان اذا طبقناها على الوف وربوات من الجنس البشرى حولنا ، كلم الناس عن رجائهم في السماء فيجيبك الواحد بتردد :« آه ! نعم ، أتمنى أن أدخل السماء حينما ينتهي يوم الأرض القصير . وأتعشم أن أجد طريقي الى مدينة الله وأرجو أن تخطو قدماى يوما من الأيام على الشوارع الذهبية في أورشليم السماوية ». واذا ما سألتهم عن مقدار التأكيد الذي يخولهم السير في الطريق المؤدي الى السماء وجدتهم في ارتباك . فبدلا من أن يستندوا إلى ما هو مكتوب هكذا يقول الرب تراهم يهيمون في بيداء الظنون والتخمينات ، وما أكثر ما تلوك ألسنتهم هذه العبارة : أظن أن كل شيء سيأتي خيرا في النهاية لأنه توجد طرق شتى الى الأبدية وآراء متضاربة عنها ، ولكن جميعنا نسير الى المكان الواحد في النهاية و كل الطرق توصل الى السماء كما نرجو . وهذا لا يستند الى المنطق ولا الى العمل في شيء أتذكر أني كنت مسافرا مرة في قطار يقوم من (لوس أنجلوس) الى سان دياجو ، وبعد ما غادرنا فولرتون اتجه نظري الى نزاع بالقرب منى . ولاحظت سيدة ركبت القطار من محطة قريبة ، واستلفت نظري «العفش» الكثير الذي كان معها ففي يدها قفص فيه ببغاء ، ومشبوك في اصبعها ملف ، ثم في بقية أصابعها حزمة وأشياء أخرى ملأت بها المكان الذي جلست فيه . وما استقرت في مكانها حتى جاء الكمساري ينادي « التذاكر من فضلكم » ، فسلمته تذكرتها ، حينئذ قال لها : « يا مدام ، هذا القطار خطأ لأن تذكرتك الى سان برناردينو وهذا القطار ذاهب الى سان دياجو ». فأجابته: لا حاجة أن تخبرني هذا ، فقبلما اركب القطار سألت واحدا واخبرني ان هذا القطار ذاهب إلى سان برناردينو. . فأجاب : انا اسف لأنك الأن فريسة معلومات خطأ ، لان هذا القطام هو قطار سان دياجو فقالت : لا أصدق هذا لأني قطعت هذه التذكرة بحسن نية وركبت القطار الذي قالوا لي عنه . فأجاب: عفواً يا سيدتى ، لكن أنا كمسارى القطار وهو ذاهب الى سان دياجو ، واذا كنت تريدين سان برناردينو يجب أن تنزلى وتأخذي قطارا آخر . ولما اقترب القطار الى المحطة جمعت أمتعتها وحقائبها وببغاءها وكانت تتذمر قائلة ان هذه إهانة لحقت بها وستبلغ الأمر إلى المصلحة لأن هذا الكمساري أنزلها من القطار . وكان المسافرون يبتسمون ابتسامة مقرونة بالعطف على هذه المسكينة فاذا رَكِبتَ قطارا مسافرا إلى الشمال هل تنتظر أن يوصلك إلى محطة في الجنوب ؟ واذا كنت سالكا في طريق الدينونة والعقاب الأبدي هل تصل إلى السماء ؟ « تعب الجهلاء يعييهم لأنه لا يعلم كيف يذهب الى المدينة » اتذكر أننا كنا ذاهبين مرة من اليزابث نيوجرسي إلى كاليفورنيا، فوصلنا إلى أريزونا ، وجئنا إلى شبكة طرق ولم تكن هناك. علامات.. ترشدنا.. وسكرتيري الشاب. كان يتولى قيادة السيارة قال : أظن ان هذا الطريق هو المؤدي الى وجهتنا . فقلت : لا بل أظن أن ذلك. وهكذا تضاربت آراؤنا وسلكنا السبيل الخطأ ، بل. ابتعدنا فيه ، فاضطررنا أن نرجع ثانية عدة أميال لأن تعب الجهلاء أعيانا . لم ؟ لأننا لم نعلم طريق المدينة .

فكم أناس. وجهتهم الأبدية التي لا نهاية لها يخبطون في طريقهم على غير هدى ويا للأسف على تعبهم الضائع دعوني أبين لكم بعض الطرق التي يسير فيها الناس ظانين أنها تؤدي الى السماء.

أولا : طريق الناموس:

هل تعلم هذا الطريق ؟ أنه صعب حجري ، وكثيرون يظنون انه يؤدي إلى السماء انك ترى فيها قمم سيناء المقطبة ، ونسمع الرعود القاصفة ، وترى البروق الخاطفة ، وصونا ينادي :« ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به. ولكنك تقول : سأعمل كل ما في وسعى لأحفظ وصايا الله المقدسة. وبالتأكيد سأصل إلى السماء . أخيرا احذر طريق الفرائض فإنه سيصل بك الى مكان اللعنة لأن كتاب الله يقول : لأن من حفظ كل الناموس وانما عثر في واحدة فقد صار مجرما في الكل » (يع ٢: ١٠) ولم يتبرر أى انسان بأعمال الناموس ، ولا يمكن الإنسان أن يغتسل من أوحال الخطية بحفظ الناموس . ان الناموس يرشدك فقط إلى ما يجب عليك عمله في السلوك ، ولكنه لا يخبرك ماذا تفعل حينما تصير مذنبا أمام الله . فطريق الفرائض لا يقودك إلى اورشليم الجديدة.

ثانيا : طريق الإصلاح:

يقول قائل : صحيح أنا فشلت وأذنبت أمام ناموس الله واخطات ولكني سأقلب صحيفة جديدة وابتدىء بعدئذ أرضي الله واطرح عاداتي الرديئة وأمارس عادات طيبة جديدة ، وبكل تأكيد سيوصلنى مكتوب في هذا السفر ايضا : الله يطلب ما قد مضي » (جا٣: ١٥) فحتى اذا أصلحت طريقك اليوم وقلبت صفحة جديدة ولم تتلطخ صفحاتك الجديدة بلطخة واحدة فان الصحائف السوداء القديمة تظل شاهدة بدينونتك ، وعليك أن تجابهها يوم الدين ، أن لم تتوصل الى واسطة بها يُمْحَى الماضي الله يطلب ما قد مضي . ان «بقالك» يعمل ذات العمل ، فمثلا تأخذ منه بضاعة على الحساب شهرا أو شهرين ثم تقول : « هذه الطريقة لا تنفع معي ، الشراء على الحساب والاستدانة أمر لا اريده(فسأبتدئ أن أدفع نقدا ثمن كل ما اشتريه . ثم تذهب حاملا سلتك بيديك الى البقال وتقول : « أنا صممت أن أقلب صفحة جديدة ». فيجيبك : ماذا تعني ؟ تقول له : أنا وجدت أن الشراء على الحساب خطأ ومن الآن فصاعدا سأدفع الثمن فورا . يجيبك:

هذا يسرني ، ومتى يمكنك دفع حسابك القديم ؟ فترد : انت غير فاهم ، أنا مزمع أن أدفع نقدا الآن ، أفلا تشطب الحساب القديم؟ فيجيبك : لا يمكن أن تستمر تجارتي اذا اتبعت طريقتك لأنك اخذت البضائع من محلى فلابد من دفع ثمنها . فتقول : لكن إذا قلت لك اني متأسف وسأدفع لك ثمن كل ما آخذه منك من الآن . طبعا يكون جوابه : « اكون مسرورا لاعتبارك زبونا بالنقد، لكن أصول العمل توجب على مطالبتك بما قد مضي« يا صديقى ، قد تقلب صفحة جديدة ، وتعزم أن تصلح طريقك ، ولكن عند نهاية شارع الإصلاح ستجد أن آخر مطافك بقعة، يقال لها الخيبة الأبدية ، فيها تسمع اسيفًا من ابن الله قائلاً: لا أعرفكم!

ثالثا : طريق الآداب:

ويرتاده عدد كبير من الناس المحترمين الذين تشعر بسرور اذا زاروا منزلك وترتاح إلى عشرتهم ، أناس لا يوجد غبار على مسيرتهم ويتباهون بأدابهم وثقافتهم ، ولكن الرب يسوع ليس له مكان في أفكارهم . ومكتوب عنه : « لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغي أن نخلص ». فيا صديقى ، لو كانت الآداب تخلص أو الثقافة تؤهلك للسماء ما مات المسيح على صليب الجلجثة هناك في بستان جثسيمانى صاح من أعماق نفسه المتألمة »يا ابتاه ، ان شئت أن تجيز عنى هذه الكأس ».

فلو كانت هنالك طريقة أخرى لخلاص الخطاة خلاف موته الكفاري لكانت أعلنت

رابعا : طريق البر الذاتي:

وهو طريق فخم . هناك ترى فيه طبقات الكتبة والفريسيين والشخصيات البارزة في الكنائس . اسمع واحدا منهم وهو يفاخر اللهم انا أشكرك أني لست مثل باقي الناس الخاطفين الظالمين الزناة لا أشرب الخمر ولا أجدف . أصوم مرتين في الأسبوع وأعشر كل ما أقتنيه . وبالتأكيد أن كان أحد يستحق السماء فأنا أولى. « ولكن اسمع حكمة الله : كثوب عدة كل أعمال برنا . وهذا ليس معناه ثوب بال توسخ بأقذار الشارع ، ولكنه يشير الى ثياب تدنست بفساد داخلى وافرازات قروح البرص. نعمان السرياني الأبرص المتسربل بالثياب الغالية يخلع واحدا منها ويقول : « انظر ، أريد أن أعطيك هدية ». هل تشكره على عطيته ، أم تقول ابعد عني لأن ثيابك ملوثة بالبرص الذي فيك ؟ هذا هو الحال مع برنا . فجميعها صادرة من قلب نجس شرير فلا يمكن أن تبرر خاطئا أمام الله ، فنهاية طريق البر الذاتي بحيرة النار.

خامسا : طريق الطقوس:

هل تقابلت مع أحد تابعي هذه الطريق ؟ مرة قلت لسيدة: الأن أراك في الاجتماع ، هل أنت مسيحية ؟ قالت : نعم انني عضوة الكنيسة الفلانية منذ حداثتى ». قلت :« عفوا ، لم تفهمى قصدى ، هل ولدت من فوق ؟». قالت :« لقد اعتمدت وانا بنت ثمانية أيام ». فقلت : للآن لم تفهمى ؟ هل تجددت ؟ قالت:))نعم ، لقد قيدت في دفاتر العضوية وتناولت العشاء الرباني وأنا بنت اثنتي عشرة سنة ، ومن وقتها وأنا مواظبة وأتناول من المائدة فتأكد أني بخير« كانت تسير في طريق الطقوس ظنا منها أنها طريق السماء ، وهي لا تدري أنها ستنحدر في هاوية الهلاك ، واذا لم تخلص فإنها تهوى من قمة الزمن إلى ظلمة الأبدية . فتعلم أنه لا المعمودية ، ولا تناول العشاء الرباني ، ولا الانضمام إلى الكنيسة يخلصها. يسوع وحده هو القادر أن يغسلنا من أدران الخطية ويؤهلنا للمجد مكتوب في الأمثال (١٤: ١٢) : « توجد طريق تظهر للإنسان مستقيمة وعاقبتها طرق الموت). فهذه الطرق التي أوضحنا آنفا هي الطرق التي تظهر للإنسان مستقيمة ولكن عاقبتها الظلمة الخارجية.

لما سأل توما : « يا سيد ، كيف نعلم الطريق ؟ قال له يسوع أنا هو الطريق والحق والحياة . ليس أحد يأتي الى الآب الا بي» (يو١٤: ١٦). فهل تريد أن تعلم الطريق الى المدينة ؟ يسوع هو الطريق هل تريد أن تعرف الحق فيما يختص بمعضلات الزمن والأبد؟ يسوع هو الحق : الذي يؤمن بالإبن له حياة أبدية ، والذي لا يؤمن بالإبن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله ». لابد أنك ترغب في معرفة الطريق إلى المدينة . حينما تضطجع في النهاية وتودع أصدقاءك وأحباءك ، بالتأكيد تود أن تقول كما قال أحد قديسي الله الأعزاء : « أن الأرض تبتعد الى وراء والسماء تنفتح ». يسوع وحده هو الطريق الى مدينة الله ، وهو يقول : "من يقبل الى لا أخرجه خارجا ". فاذا أتيت اليه مقراً بخطاياك تاركا كل ملجأ آخر، متكلاً عليه وحده فيخلصك ، ويصبح طريقك الوحيد المؤدي إلى أورشليم السماوية.

منقولة من كتاب (أشهر المواعظ) تم مراجعتها وتنظيمها
أرجوا أن تكون سبب بركة لكل من يقرأها
صفوت زكي سمعان